ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثالث - أكتوبر ٢٠١٩

عدد خاص
عمارة المساجد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

من إصدارات مكتبة الإسكندرية

نفائس المخطوطات بمكتبة الإسكندرية

للحصول على مطبوعات مكتبة الإسكندرية؛ يُرجى الاتصال بمنفذ البيع:
تليفون: ٤٨٣٩٩٩٩ (٢٠٣)+ داخلي: ١٥٦٠–١٥٦٢
فاكس: ٤٨٢٠٤٧٦ (٢٠٣)+
البريد الإلكتروني: sales@bibalex.org

الفِهرِس

المساجد الجامعة وتطورها	٢
الجامع الأموي الكبير في مدينة دمشق	١٨
العمارة الدينية بمدينة سامراء	٤٤
الجامع الكبير بصنعاء	٥٤
هوامش وملاحظات حول المسجد الجامع بالقيروان	٦٢
مساجد مدينة فاس	٨٢
مساجد الموصل التاريخية	١٠٨
الآثار الإسلامية في الإسكندرية (المساجد العثمانية)	١١٦
المساجد التاريخية في المملكة العربية السعودية	١٢٤
مساجد موريتانيا	١٣٤
عمارة المساجد والمدارس في موسوعة «المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية»	١٧٤

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الإشراف العام

أ . د . مُصْطَفى الفِقي

مدير مكتبة الإسكندرية

الهيئة الاستشارية

أ . د . أَيْمَن فُؤاد سَيّد

أ . د . أَشْرَف فَرّاج

د . مُحَمَّد الجَمَل

سكرتير التحرير

سُوزَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي

فاطِمَة نَبيه

مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط

الحَسَن عِصَام

خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، أكتوبر ٢٠١٩

طُبعت برعاية

OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

الآثار الإسلامية في الإسكندرية
(المساجد العثمانية)*

بقلم: الأستاذة الدكتورة ليلى علي إبراهيم
ترجمة وتعليق: أحمد عبد المنعم أحمد حسن

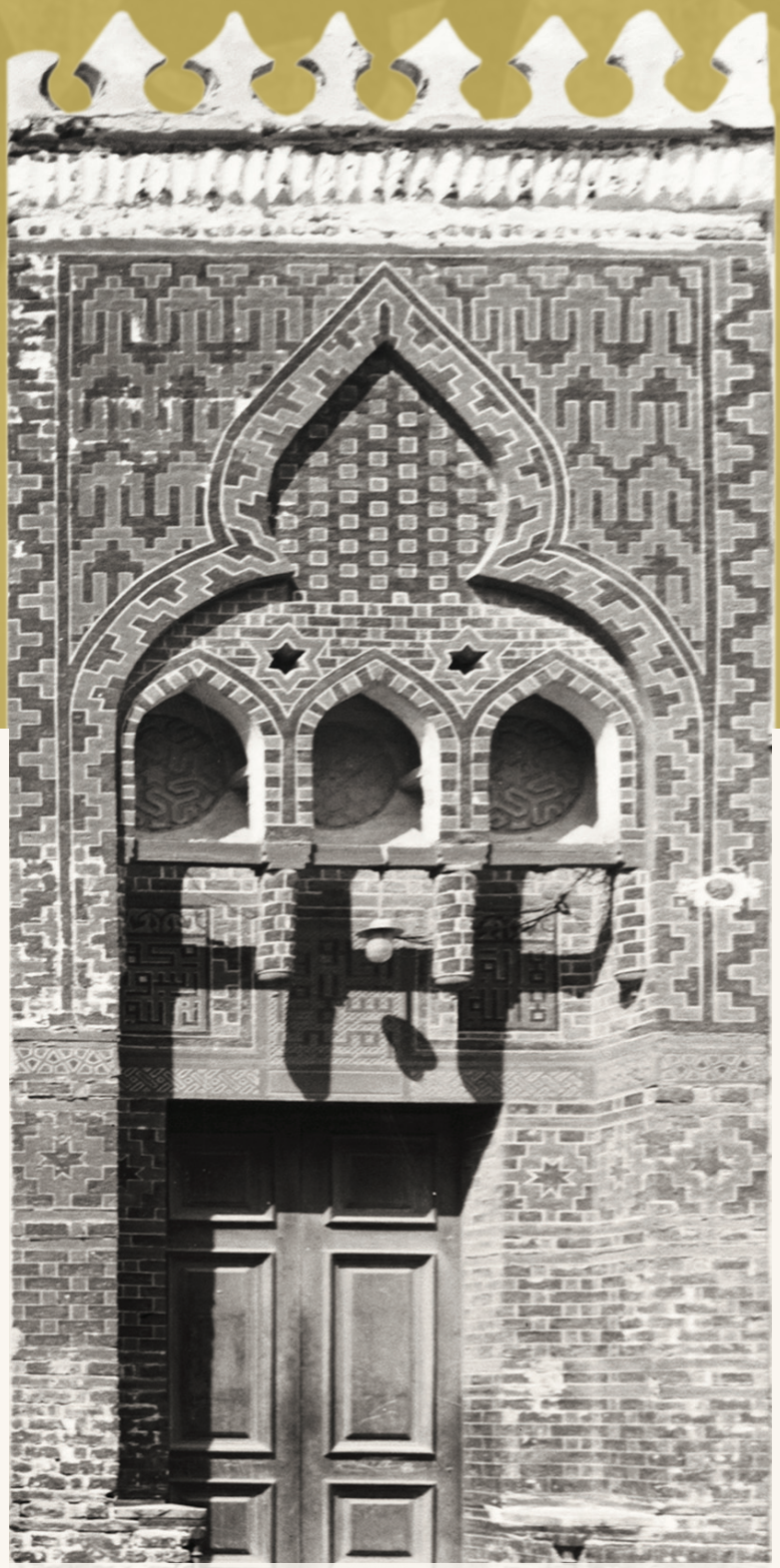

* بحث منشور في كتاب *Studies in Islamic Art and Architecture* للأستاذة الدكتورة ليلى علي إبراهيم، قيد النشر بمكتبة الإسكندرية.

فقدتْ الإسكندرية كثيرًا من أهميتها في العصر الإسلامي، بعد أن كانت عاصمة مصر على مدار الفترة البطلمية، وطوال الاحتلال الروماني. ويرجع ذلك التراجع إلى تأسيس عاصمة مصر العربية الجديدة في الفسطاط. ويبدو هذا الاضمحلال النسبي في أهمية الإسكندرية السياسية واضحًا في العصر الإسلامي، من واقع أن أول والٍ على المدينة الملقب بالوالي الكبير، لم يتم تعيينه حتى الحكم المملوكي[١].

وبالرغم من تدهور وضع الإسكندرية السياسي فإنها ظلت ميناء هامًّا للتجارة بين مصر والغرب. ويخبرنا بيلوتي Piloti الذي أقام في مصر طويلًا منذ بداية القرن الخامس عشر أن الإسكندرية كانت مفتاح التجارة بين الشرق والغرب، ويربط ذلك بوجود العديد من الخانات والفنادق والمخازن في المدينة، وكل ذلك كان يتبع مراقبة صارمة للتجارة الأجنبية. ويضيف أنه عند قدوم سفينة شحن كان يتم حجز البحَّارة من قِبل السلطات، وذلك أثناء تفريغ البضائع لمخازن المدينة، وكان يُطلب من التجار الأجانب الإقامة في الخانات والفنادق فقط، ولا يسمح لهم بالمغادرة إلا بعد تسوية حساباتهم.

يخبرنا رحالة ومؤرخو القرون الوسطى عن عظمة عمران الإسكندرية من مساجد وقصور وخانات وفنادق ومارستانات. ولكن للأسف لا يوجد اليوم سوى تسعة عشر مبنى مسجلًا كأثر، منها أربعة مساجد[٢] والباقي ما بين صهاريج وتحصينات وأبيار. والجدير بالذكر أن المساجد الأربعة المسجلة تعود للفترة العثمانية، وهي كما يلي:

١- مسجد أبي علي، المعروف أيضًا بدار الحديث التكريتية. يعود تاريخه إلى ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، أي إلى أواخر الحكم المملوكي، ولكن المسجد أعيد بناؤه تقريبًا بالكامل في الفترة العثمانية.

٢- مسجد إبراهيم تربانة ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م.

٣- مسجد الشوربجي ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م.

٤- مسجد علي بك جنينة ١٢٥٧هـ/ ١٧٩٢م.

وبالإضافة إلى هذه المساجد الأربعة، بقي نصان تأسيسيان من العصر الفاطمي موجودان في مسجدين غير مسجلين؛ الأول يوجد في مسجد العطارين[٣]، والثاني في مسجد النبي دانيال[٤]. ويوجد نص تأسيسي ثالث في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة يحمل اسم صلاح الدين، ويعود تاريخه إلى ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، ويعتقد حسن عبد الوهاب أن هذا النص يعود لمارستان في الإسكندرية[٥].

١- دار الحديث التكريتية[٦]، المعروف أيضًا بمسجد أبي علي (رُمم في ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)[٧] [٨]

من بين الأربع عشرة مدرسة أو مؤسسة تربوية، والتي ذكرها مؤرخو ورحالة القرون الوسطى العرب في مدينة الإسكندرية؛ يتبقى فقط دار الحديث التكريتية. وتتكون من قاعتين؛ داخلية وخارجية (بيت صلاة وفناء داخلي). ومن الجدير بالذكر أنه يوجد نقش كتابي أعلى مدخل القاعة الداخلية، يصف المبنى على أنه زاوية تم ترميمها من قِبل عبد اللطيف بن راشد التكريتي في شهر محرم ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م[٩]، وهذا يدعم أن ترميم المبنى حدث في بداية العصر المملوكي في وقت سابق على حكم السلطان قلاوون، ولكن لا يوجد معلومات تخص إنشاء المسجد.

ويبدو أن بيت الصلاة قد بني أثناء عملية الترميم المذكورة، فتصميم المسقط الأفقي يأتي على شكل مربع، يتوسطه عمود مركزي، يستند عليه عقود تربطه بالجدران الأربعة لبيت الصلاة. وهكذا ينقسم فراغ بيت الصلاة إلى أربعة مربعات متساوية الشكل، يعلو كلًا منها قبة صغيرة. أما

(١) أول من عُين واليًا على الإسكندرية كان الشريف بكتمر في عام ٧٦٧هـ، انظر: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣): ٣١٨.

(٢) سجل مسجد خامس، وهو مسجد أنجا هانم الواقع بمنطقة محرم بك، والمبني سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، كما ورد في النص التأسيسي للمسجد، أعلى مدخل المسجد. (المترجم)

(٣) Hassan Abdel-Wahhab, *Tarikh Al-Masajed Al-Athariyya* (Cairo, 1946): 67.

(٤) المرجع السابق: ٣٣١-٣٣٢.

(٥) Max Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum*, pt. 1, *Egypte*, vol. 1, *Le Caire*, Mémoires publiés par les membres de la Mission archéologique française au Caire 19 (Paris: Ernest Leroux, 1903): 156;

عبد العزيز سالم، **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي: (حتى الفتح العثماني)** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١): ٢٤٩.

(٦) المرجع السابق: ٤٧٧. (المترجم)

(٧) جدده الأمير مصطفى بك، المعروف بابن بنت غزال سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م، كما هو موجود بالنص التأسيسي.

(٨) وجدد مرة أخرى عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، انظر: أحمد دقماق، **مساجد الإسكندرية الباقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الهجرة** (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة. كلية الآثار. قسم الآثار الإسلامية، ١٩٩٤): ٤٧-٥٤. (المترجم)

(٩) Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum,* pt. 1: 248.

النص التأسيسي الخاص بترميم مسجد أبي علي سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م.

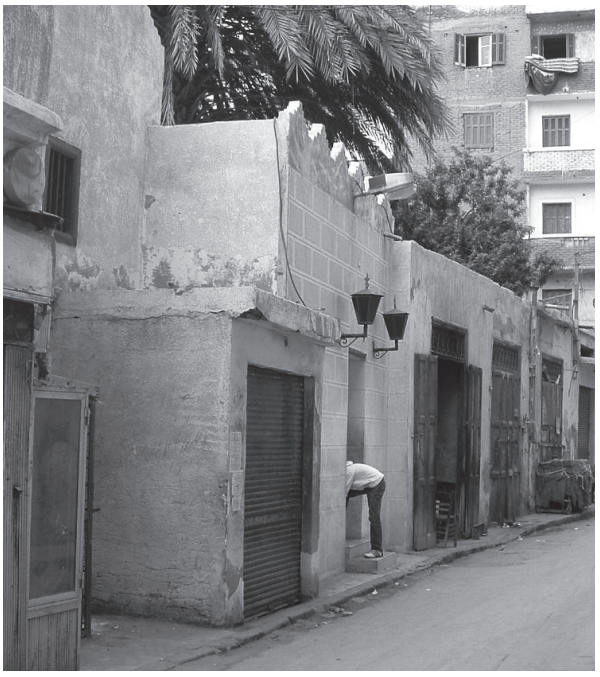

واجهة مسجد أبي علي.

العمود الأوسط الذي يحمل أقبية بيت الصلاة بمسجد أبي علي.

الفناء الداخلي[1] فهو بالتأكيد بني في فترة لاحقة، وأغلب الظن أنه كان نتاج عملية ترميم سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، فهو مغطى بقبة ضحلة، مرتكزة على جدران يبدو أنها من بقايا فترة سابقة على الترميم، ويتصل بهذا الفناء ميضأة المسجد. وعلى سبيل العموم، فإن المبنى بسيط، وبه قليل من الزخارف.

٢- مسجد إبراهيم تربانة (١٠٩٧هـ/ ١٦٥٨م)[2]

يتبع مسجد إبراهيم تربانة نفس النهج التصميمي للمسجدين المسجلين بالإسكندرية؛ مسجد عبد الباقي جوربجي، ومسجد علي بك جنينة، وهو نمط المسجد المعلق. هذه المساجد تُبنى على دورين؛ يتكون الدور الأرضي من محلات وميضأة للمسجد، أما الدور العلوي فيوجد به بيت الصلاة. وقد ذُكر في وثيقة وقف مسجد الجوربجي[3] أنه يقع بالقرب من مسجد الخواجة إبراهيم تربانة، وهذا ما أعطى للمسجد اسمه. ومن الجدير بالذكر أن إضافة كلمة خواجة إلى اسم إبراهيم تربانة توحي بأنه من التجار المهمين.

ويوجد في مسجد إبراهيم تربانة شرافتان خارجيتان في الدور العلوي للمسجد، إحداهما تقع في الجانب الشمالي الغربي، والأخرى في الجانب الجنوبي الغربي، ويوجد بكل شرافة مدخل يفضي إلى بيت الصلاة. أما الركنان الشمالي والجنوبي فيوجد

(١) يبدو أنه أضيف إلى المبنى بعض الملحقات التي لم تذكرها المؤلفة؛ حيث يوجد جنوب غرب القاعة المذكورة ميضأة المسجد ودورات مياه، والجانب الشمالي الشرقي للميضأة به أربعة محلات. أما الجانب الجنوبي للقاعة المذكورة فقد بنيت فيه مئذنة حديثة يبدو أنها من الخرسانة المسلحة، ومبنية في الفترة الحديثة. (المترجم)

(٢) دار الكتب والوثائق القومية، **سجلات وقفية الحاج إبراهيم تربانة**، سجل ٥٨، متتابعة ٢٣٣ (سنة ١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م): ١٨٧، الأسطر ٢٠-٢٢؛ دقماق، **مساجد الإسكندرية الباقية**: ٤٤-٤٦. (المترجم)

(٣) دار الكتب والوثائق القومية، **وثيقة الحاج عبد الباقي جوربجي**، سجل ٨٥، متتابعة ٤ (سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م): ٣، الأسطر ١٦-١٨؛ دقماق، **مساجد الإسكندرية الباقية**: ٨٤-٩٢. (المترجم)

بكلٍّ منهما سلم يصل بين الدور الأرضي وكل شرافة منهما. ويعد المدخل الذي يفتح على السلم جهة الجنوب هو المدخل الرئيسي للمسجد، وله بوابة منفردة من الطوب، وملحق بها سبيل يتبع نفس الطراز، وهو طراز العمارة العثمانية في شمال الدلتا. وتقع مئذنة المسجد على قمة السلم الجنوبي[٤]، وترتكز على أربعة أعمدة من الجرانيت، ويتبع تصميم المئذنة الطراز العثماني المتأخر. ولقد سقط الجزء العلوي منها عام ١٩٨٦م، وأعيد بناؤه على نمطه الأصلي.

النقش الكتابي الذي يحمل اسم مؤسس المسجد وتاريخ تأسيسه، يقع أعلى مدخل بيت الصلاة. أما تصميم بيت الصلاة فيتبع نظام القاعة ذات الأروقة بصفين من الأعمدة، كل منهما به أربعة أعمدة رخامية. وتقع دكة المبلِّغ فوق المدخل المقابل للمحراب، وتمتد بطول الجدار. ويعرف هذا النوع من الشرافات في الإسكندرية باسم السندرة. ويوجد على جانبي المحراب غرفتان صغيرتان؛ إحداهما للإمام، والأخرى مخصصة لتخزين المصاحف والكتب. ويتحلى المسجد على العموم بزخارف غنية، خاصة في المحراب والسقف الخشبي.

المدخل الرئيسي لمسجد إبراهيم تربانة.

الواجهة الرئيسية لمسجد إبراهيم تربانة.

الواجهة الرئيسية لمسجد إبراهيم تربانة.

(٤) تقع المئذنة في منتصف الطرقة ما بين السلمين الشمالي والجنوبي. (المترجم)

مدخل بيت الصلاة لمسجد إبراهيم تربانة.

٣- مسجد الجوربجي (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م)[١][٢]

يتشابه التصميم المعماري لمسجد عبد الباقي جوربجي مع مسجد إبراهيم تربانة في نواحٍ عديدة. فالمسجد معلق، له دور أرضي به محلات، والدور العلوي به بيت الصلاة، محاط بشرافات خارجية من ثلاث جهات. وتطل الشرافة ذات الأروقة الواقعة بالجانب الشمالي الغربي على وكالة الجوربجي.

يوجد أيضًا سلمان، يفضي كلٌّ منهما إلى شرافة خارجية؛ أحدهما بالجانب الشمالي والآخر بالجانب الجنوبي. ويقع المدخل الرئيسي للمبنى على السلم الواقع بالجانب الجنوبي. وتَمَاثل هذا المدخل في تصميمه مع مدخل مسجد إبراهيم تربانة، ويتبع الطراز المعماري لشمال الدلتا. أما مئذنة المسجد فلا يتبقى منها سوى قاعدتها التي تقع أعلى نفس السلم، أما الميضأة فمدخلها متاخم للمدخل الرئيسي، وبها نافورة تقع أسفل قاعدة مئذنة المسجد في الدور الأرضي، أما المصلى فيقع أعلى الميضأة.

تحتوي الشرافات ذات الأروقة التي تحيط بالمسجد في الدور العلوي من ثلاثة جوانب، على العديد من الزخارف، التي تكثر على العقود المرتكزة على الأعمدة الرخامية. ويوجد ثلاثة مداخل تؤدي إلى بيت الصلاة بواقع مدخل على جانب كل شرافة، ولكن المدخل الرئيسي يقع في الجانب الجنوبي الشرقي. وتعد هذه البوابة فريدة من نوعها فيما يختص بالزخارف، فالنصف السفلي منها مكسوّ بالرخام، أما العلوي فمكسوّ بالسيراميك[٣] المغربي. ويقع النص التأسيسي للمسجد أعلى هذه البوابة، وبه أبيات من الشِّعْر، ويعود تاريخه إلى ربيع الآخر ١١٧١هـ، وممهور بتوقيع من الكاتب الحاج مسعود السبع.

إن التصميم الداخلي لبيت الصلاة يتبع نظام القاعة ذات الأروقة بمجموعتين، كلٍّ منهما يحوي أربعة أعمدة رخامية، مُكونةً أربعة أروقة في كل جانب، ويتوسط سقف بيت الصلاة شخشيخة. أما دكة المبلِّغ أو السندرة فتقع أعلى رواق المدخل، وتمتد بطول الجدار الشمالي الشرقي.

وأخيرًا، يعد هذا المسجد ثريًّا بالزخارف التي تتبع الطراز المغربي، ممثلًا في الحوائط المكسية بالقيشاني، أو الزليج المغربي، والسقف الخشبي مدهون بألوان جميلة، وانتهاء بالمحراب المزخرف بالفسيفساء الرخامي، والذي يحمل توقيع الصانع الحاج السعيد عبد المولى الطوبي. ويوجد غرفتان على جانبي المحراب؛ إحداهما مخصصة لإمام المسجد، والأخرى مخصصة للمصاحف والكتب.

(١) كان الجوربجي في منصب بالجيش خلال الفترة العثمانية، على الرغم من أنه مذكور في وثيقة وقف المسجد كتاجر.

(٢) كان عبد الباقي جوربجي يعمل بقلعة الركن بالإسكندرية، كما كان أيضًا من كبار تجار الإسكندرية، انظر: دقماق، **مساجد الإسكندرية الباقية**: ٥٥. (المترجم)

(٣) يوجد العديد من بلاطات القيشاني المشابه من نفس النوع في متحف الفن الإسلامي في القاهرة، موقع عليها من حرفيين مغاربة.

الواجهة الرئيسية لمسجد عبد الباقي جوربجي.

بيت الصلاة لمسجد عبد الباقي جوربجي.

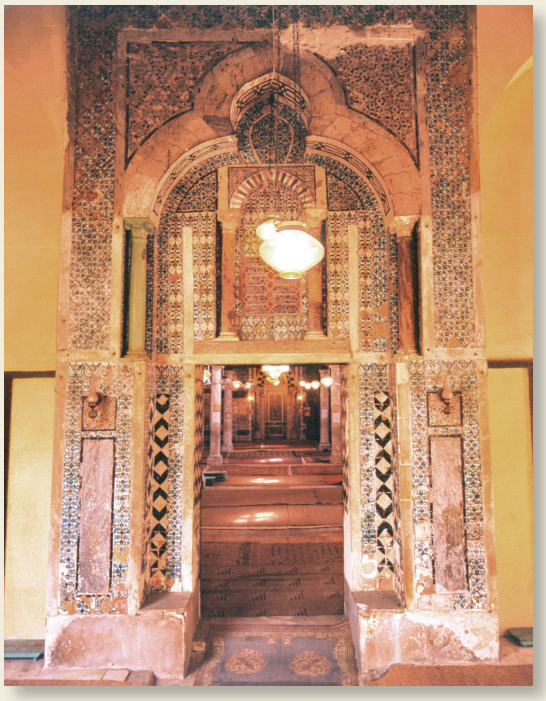

مدخل بيت الصلاة لمسجد عبد الباقي جوربجي.

٤- مسجد علي بك جنينة[١] (١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م)[٢]

يعتبر مسجد علي بك جنينة أصغر من المسجدَين السابقَين؛ الجوربجي وتربانة، ولكنه يحمل في واجهته الطراز العثماني لشمال الدلتا، وبشكل ملحوظ في مدخله وفي شباك السبيل الملحق. ويقع كلٌّ من مدخل المسجد وشباك السبيل ومدخل الميضأة في الجانب الغربي للمسجد، وكانت مئذنة المسجد تقع في هذا الجانب أيضًا، إلا أنها تهدمت في وقت سابق، ولم يُعَد بناؤها مرة أخرى.

ويوجد النص التأسيسي للمسجد على لوحتين من الرخام أعلى بوابة المسجد، وهناك نقش كتابي آخر فوق شباك السبيل، أما الميضأة فهي في حوش خلف السبيل. وتُفضي البوابة المذكورة إلى سلم صاعد للطرقة المؤدية لبيت الصلاة، ويوجد سلم آخر مقابل له مطل على شارع خلفي.

أما تخطيط بيت الصلاة فهو بهو ذو أروقة بها أعمدة رخامية، ثلاثة على كل جانب، مكونًا ثلاثة أروقة، وفي منتصف السقف الخشبي شخشيخة. والجدير بالذكر أن زخارف المسجد بسيطة، ولكن المحراب مميز.

إن التصميم المعماري للمساجد الأربعة، وبالأخص المداخل والمآذن، يعتبر نقطة أساسية في دراسة تطور الطراز المعماري والزخرفي في المناطق الشمالية لدلتا النيل[٣] في مدن مثل رشيد وفوة ودمياط[٤]؛ حيث يبدو أن الطراز المعماري دمج بين تأثيرات مغربية لا توجد في أي مكان في مصر.

وبالإضافة إلى المساجد الأربعة، يوجد بالإسكندرية أضرحة لشيوخ وعلماء غير مدرجة بقائمة المباني الأثرية. ومن المثير للإعجاب أن أغلب الشيوخ والعلماء الذين وفدوا لمصر من شمال إفريقيا استقروا وماتوا بها. ومن هؤلاء المرتبطين بمدينة الإسكندرية أبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس المرسي، وسيدي الشاطبي، وسيدي جابر.

مدخل مسجد علي بك جنينة.

شباك السبيل لمسجد علي بك جنينة.

(١) أنشأ هذا المسجد الأمير علي بك جنينة، الذي كان رئيسًا لمجلس تجار الإسكندرية، وتولى بعض المناصب العسكرية، انظر: دقماق، **مساجد الإسكندرية الباقية**: ١٣٥. (المترجم)

(٢) دار الكتب والوثائق القومية، **سجلات وقفية علي بك جنينة**، سجل ١٥٦، متتابعة ٨٢١ (سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م): ٦٣١-٦٣٢، الأسطر ٢٢-٢٧؛ دقماق، **مساجد الإسكندرية الباقية**: ١٤٩. (المترجم)

(٣) Alexandre Lézine et A.-R. Abdul Tawab, "Introduction à l'étude des maisons anciennes de Rosette", *Annales Islamologiques (AnIsl)*, no. 10 (1972): 149–205. (المترجم)

(٤) حسن عبد الوهاب، «طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر»، ورقة بحثية غير منشورة، المجمع العلمي المصري، القاهرة، يناير ١٩٥٧. (المترجم)

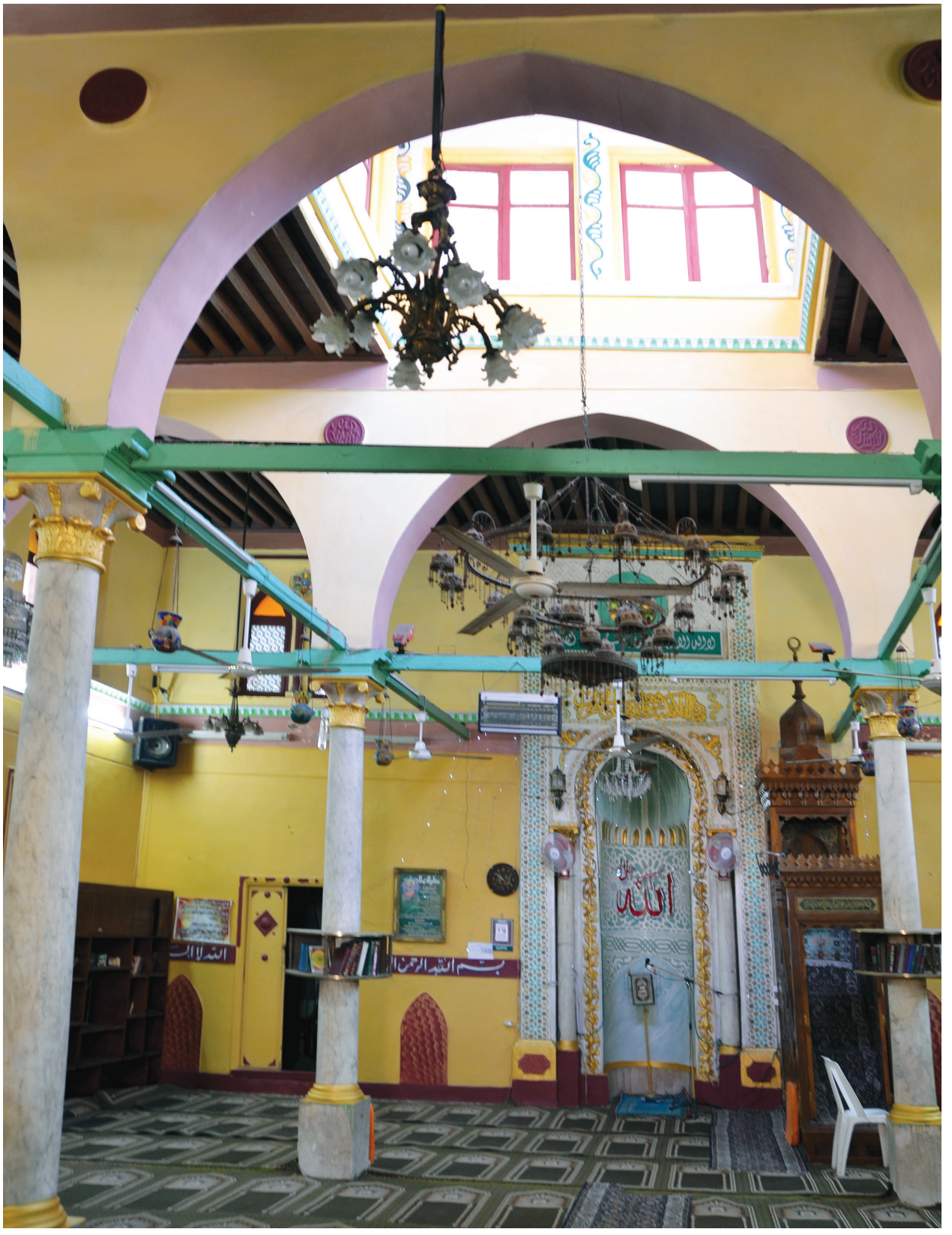

بيت الصلاة لمسجد علي بك جنينة.

من إصدارات مكتبة الإسكندرية

أبحاث المؤتمر الدولي

الحضارة الإسلامية في الأندلس